# لبنان في القرن الثامن عشر

## المؤتمر الأول

## للجمعية اللبنانية للدراسات العثمانية

دار المنتخب العربي
للدراسات والنشر والتوزيع

11,30 **الندوة الثانيــة**

المحاضرون

- خالد زيادة: «تكون العائلات في طرابلس».
- انطوان ضو: «قضية الراهبة هندية ومسألة التحرر».
- حسين سليمان: «ثلاثي القوى المحلية ينتزع صيدا من السيطرة العثمانية».
- شوقي دويهي: «ملاحظات أولية حول مؤشرات تصنيف الهوية في مدينة طرابلس خلال القرن الثامن عشر».
- مناقشة.

15,00 **المحور الخامس: النشاط الاقتصادي**

المحاضرون

- سعاد أبو الروس سليم: «جباية الضرائب في جبل لبنان وأثرها في الحياة الاقتصادية».
- أسامة شاهين: «الأوضاع النقدية العثمانية والمقاطعات اللبنانية».
- بطرس لبكي: «تجارة المدن الساحلية».
- جان شرف: «الأزمة الاقتصادية في أواخر القرن الثامن عشر».
- «توصيات الجلسة الختامية للمؤتمر الأول للجمعية اللبنانية للدراسات العثمانية 20 كانون الأول 1991».
- مناقشة

# ثلاثي القوى المحلية
# ينتزع صيدا من السيطرة العثمانية

حسين سليمان

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر انقسمت بلاد الشام إلى حزبين، الأول يترأسه والي دمشق عثمان باشا ويضم ولاة حلب وطرابلس وصيدا والقدس والموصل. والثاني يترأسه ظاهر العمر في فلسطين الجنوبية، وحلفاؤه مشايخ بلاد صفد، وعشائر جبل عامل بقيادة ناصيف النصّار، ويؤيده علي بك الكبير بمماليكه في مصر[1].

وانعكس هذا الانقسام على أمراء الأسرة الشهابية الحاكمة في المقاطعات اللبنانية الجبلية، فبينما اعتمد الأمير يوسف الشهابي ملتزم ناحيتي جبيل والبترون على عثمان باشا في مناهضة الأمير منصور الشهابي الأمير الحاكم في مقاطعات إمارة جبل الدروز وإزاحته عن منصبه والحلول مكانه، كان موقف الأخير يتحدّد إلى حد بعيد بالمساعدات التي كان يتلقّاها من والي صيدا محمد باشا العظم. ولما كان أمير جبل الدروز لا يجرؤ على مقاومة العثمانيين، فقد اتّبع الأساليب المألوفة في هذا المجال، أي التظاهر بمظهر المخلص لهم، في حين كان يساعد بالخفاء عدوهم ظاهر العمر[2].

ومما تنبغي الإشارة إليه أن أحداً من زعماء حزب العصاة (ظاهر العمر ومشايخ

---

(1) ميخائيل الصبّاغ، تاريخ الشيخ ظاهر العمر، ص 116 – 117.

(2) فرنسوا فولني: سوريا ولبنان وفلسطين في القرن الثامن عشر، جـ 1، ص 50.

بلاد صفد وناصيف النصّار وعلي بك الكبير)، لم يتجرأ ويعلن العصيان على السلطان العثماني، رغم سلطته المطلقة التي يتمتّع بها في منطقة نفوذه. وإنما كانوا يعلنون العصيان العلني على ممثلي السلطنة العثمانية في مناطقهم، بحجة الظلم والاضطهاد اللذين يتعرضان لهما من قِبل هؤلاء، والسبب في امتناعهم عن إعلان العصيان على السلطان العثماني، أنه مهما بلغ ضعفه السياسي والعسكري، كان لا يزال زعيم المسلمين. وأن العصيان عليه من شأنه أن يؤلّب الرأي العام الإسلامي، ضد هؤلاء الزعماء المتمرّدين[3].

وسقطت دمشق بأيدي المتمرّدين، وأصيب سكان صيدا بالذهول حين بلغهم في الحادي عشر من حزيران 1771 نبأ سقوط دمشق، وأصيبوا بالذعر من أن يحضر العامليون ويحتلّوا المدينة، التي غادرها واليها درويش باشا إلى عند الأمير يوسف، وتسلم حكمها أحمد آغا حمود بانتظار قدوم مكلفين من قبل المتمردين لحكم المدينة[4].

سُرَّ الأمير منصور الشهابي بانتصار قوات المتمرّدين، في حين تريّث الأمير يوسف بانتظار نتيجة الصراع السياسي الدائر في بلاد الشام[5].

وبانسحاب القوات المتمردة من دمشق، تخلّى الأمير منصور عن حكم إمارة جبل الدروز للأمير يوسف الشهابي، وحاول عثمان باشا أن يوجّه ضربة إلى ظاهر العمر واحتلال عكا، لكنه هزم في معركة الحولة[6].

---

(3) عبد الكريم رافق، **بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابوليون بونابرت**، ص 306.

(4) A.E.B 1035 Seyde le 31/5/1771 **ملاحظة:** هذه المجموعة من وثائق وزارة الخارجية الفرنسية المحفوظة في أرشيف دار الوثائق الفرنسية في باريس (Archives Nationales de Paris)، ويعتبر (B) هو رمز المجموعة، ويدل العدد الأول على رقم المجلد الصادر عن القنصلية الفرنسية في صيدا (Seyde) ويحتوي كل مجلد على وثائق السنوات المذكورة بجانبه ومؤرخة في اليوم والشهر والسنة.

(5) حيدر الشهابي، **الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان**، جـ 1، ص 85 ـ 86.

(6) فرنسوا فولني، مصدر سابق، جـ 1، ص 76؛ حيدر الشهابي، **الغرر**، مصدر سابق، جـ 1، ص 89؛ حنانيا المنيّر، **الدر المرصوف في تاريخ الشوف**، **المشرق**، م 49، ص (263 ـ 264)؛ ميخائيل بريك، **تاريخ الشام**، ص 97؛ ميخائيل الصباغ، **تاريخ الشيخ ظاهر العمر**، ص 99 ـ 100)؛ حيدر الركيني، جبل عامل في قرن، **العرفان**، م 28، ص 54.

وأصيب والي صيدا درويش باشا بالخوف، خشية أن تحضر القوات المنتصرة وتأسره، ففرّ إلى دير القمر، وأعاده الأمير يوسف إلى صيدا[7]، التي كان يعاني سكانها من الخوف والرعب من عودة الخراب، وأصيبت التجارة الفرنسية بالتوقف التام[8].

وتلقى الأمير يوسف من الباب العالي خطاً سريعاً[9] يعفيه عن ميري جبل الدروز لمدة سنتين، كتعويض من تكاليف الحرب، ويأمره أن يزحف على جبل عامل للعمل ضد المتمرّدين. وبعد أن ترك الأمير قوة حراسة في مدينة صيدا بقيادة الشيخ علي جنبلاد، قاد قوات جبل الدروز تحرق وتدمّر وتنهب القرى العاملية التي كانت تمرّ بها. وفي العشرين من تشرين الأول 1771 ظهرت على شاطىء صيدا المراكب المصرية التي وجّهها ظاهر العمر من يافا لاحتلال المدينة، فحاولت أن تقوم بإنزال بحري، لكن مدفعية المدينة حالت دون ذلك، فانسحبت المراكب المصرية إلى صور[10].

وفي هذه الأثناء كانت قوات الأمير يوسف تتوغّل في قرى جبل عامل، التي كان قد هرب أهاليها إلى بلدة النبطية، وهو الذي تسيطر عليه أحلام توسعية، أشارت إليها الوثائق الفرنسية المعاصرة، بقولها:

---

(7) المصدر نفسه.

(8) A.E.B 1035 Seyde le 9/11/1771

(9) **ملاحظة:** تطلق عبارة خط شريف على الأمر الصادر من السلطان إذا كتبه بيده، أو إذا حرره الكتّاب، وأمضاه السلطان بيده لا بخاتمه. أحمد السعيد سليمان: **تأصيل ما ورد في الجبرتي من دخيل**، ص 89 – 90.

(10) A.E.B 1035 Seyde le 20/10, 9/11/1771; Alep 91 le 17/11/1771/; Marseille Le 29/11/1771; . **ملاحظة:** كان القنصل الفرنسي في صيدا شاهداً على الأحداث التي جرت في المدينة، وقد طلب منه والي صيدا درويش باشا أن يزود مدفعية القلعة بالبارود وهدّده الباشا في حال الامتناع: «طلب عشرين رطلاً من البارود من مقر إحدى السفن الراسية في ميناء صيدا، وهدّدني في حال الامتناع فلن يستطيع أن يكفل ما قد يحصل نتيجة انتقام الأهالي»؛ راجع: ibid le 20/10/1771؛ روى مؤرخو كتاب الحوليات اللبنانية أسباب هذه الحملة بخلاف ما ذكرناه، لمزيد من التفاصيل راجع: حيدر الشهابي، مصدر سابق، ص 113؛ طنوس الشدياق: **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، جـ 2، ص 330؛ سليمان ظاهر: اسماء قرى جبل عامل، **العرفان** م 8، ص 653؛ أحمد رضا. حملة الأمير يوسف على النبطية وجبل عامل، **العرفان**، م 10، ص 132؛ حنانيا المنيّر. مصدر سابق، **المشرق**، م 49، ص 264.

«لم تكن النية الحقيقية لهذا الأمير خوض معركة فاصلة، وإنما أن يوهم الأهالي بمرأى ضخامة الحملة، فيجبر المشايخ على القدوم لتقديم فروض الولاء والطاعة»[11].

وبعد فشل الوسطاء في التوصل إلى حل سياسي بين القوى المحلية المتصارعة في المقاطعات الجنوبية اللبنانية، تابع الأمير يوسف زحفه إلى بلدة النبطية، حيث تجمّعت قوات مشايخ جبل عامل بقيادة الشيخ ناصيف النصّار، التي هزمته هزيمة منكرة[12] أشار إلى عمقها كتاب الحوليات اللبنانية[13]، كما أشارت[14] هذه الحوليات إلى أسبابها.

---

(11) A.E.B 91 Alep- 91 le 17/11/1771.

(12) حيدر الشهابي، الغرر، جـ 1، ص 95، قدر عدد قوات العامليين بـ 3 آلاف مقاتل، وبأن علي الظاهر كان معهم؛ طنوس الشدياق، جـ 2، ص 330، قدّر عدد قوات العامليين بـ 4 آلاف مقاتل، وبأن ظاهر العمر كان معهم؛ عبود الصباغ، الروض الظاهر في تاريخ ظاهر، الورقة 20، ذكر أن ظاهر مصر كان يقاتل مع العامليين؛ فولني، مصدر سابق، جـ 1، ص 77، ذكر بأن ظاهر العمر كان يقاتل مع العامليين؛ لم تشر التقارير الفرنسية المعاصرة للحدث عن مقاتلة الزيادنة مع العامليين، راجع:
ibid; A.E.B 1037 Seyde le 20/10/1771;

(13) عكس كتاب الحوليات اللبنانية المعاصرة، صورة صادقة لمدى عمق المأساة ومقدار النكبة، التي حلت بأبناء إمارة جبل الدروز نتيجة الهزيمة المؤلمة، التي أنزلها العامليون بقوات الأمير يوسف الشهابي في النبطية. فقد أشار المؤرخ حيدر الشهابي إلى أنه «لم يكن في الزمان انكسر مثل تلك الكسرة حتى مات كثيراً من التعب، ومنهم من عدموا عقولهم، وكثير أرموا سلاحهم وثيابهم، وقيل إن انسان تعلق ثيابه في شجرة فبقي واقفاً الى أن وقتلوه... ولو تكون وصلت عساكر المتاولة لما كان سلم إلا القليل»، أنظر الغرر، مصدر سابق، جـ 1، ص 92؛ كما أشار المؤرخ حنانيا المنيّر، إلى مدى الخسارة البشرية والحزن الأليم الذي عم الأهالي: «كنت ترى النساء كالأغربة من لبس الحداد»، الدر المرصوف، المشرق، م 49، ص 265.

(14) ملاحظة: تباينت أراء كتاب الحوليات اللبنانية حول أسباب هذه الهزيمة التي نزلت بقوات الأمير يوسف الشهابي، فقد ألقى المؤرخ حيدر الشهابي المسؤولية على خيانة الأمير منصور والشيخ علي جنبلاد للأمير يوسف بقوله: «وقيل لم يكن يخلو الشيخ علي والأمير منصور من الونس (من الميل) الى المتاولة»، الغرر، مصدر سابق، جـ 1، ص 92؛ كما ردد طنوس الشدياق التهمة نفسها: «وانفض رجال الجنبلاطية وولوا الأدبار حسب ارادة زعيمهم الشيخ علي»، أخبار الأعيان، مرجع سابق، جـ 2، ص 33؛ بينما رأى أحد الأمراء الشهابيين: «وانفض من بين رجال الأمير يوسف جميع رجال الفئة الجنبلاطية»، تاريخ الأمراء الشهابيين، ص 114. أما حنانيا المنيّر فقد حمل مسؤولية ما حدث إلى خيانة الأمير منصور والشيخين عبد السلام العماد وكليب نكد، الدر المرصوف، المشرق، ص 492 و 265.

وخلت صيدا من الجنود الذين كانت تعج بهم، وصباح الثالث والعشرين من تشرين الأول 1771 وصل العامليون إلى أبواب صيدا، فقاموا بنهب المدينة، ونادراً ما وُجد منزل سلم من النهب[15]، وبعد ثلاث ساعات وصل إلى المدينة الشيخ ناصيف النصّار وأوقف النهب وأبدى كثيراً من الألم لما حصل[16]. وبعد ظهر ذلك اليوم رسا ثمانية عشر مركباً، تحمل حاكم المدينة من قبل علي بك ويدعى الكاشف مصطفى بك، وبعد أن تفقّد المدينة والقلعة، طلب من المشايخ العامليين أن يخرجوا بفرسانهم، ثم حضر إلى صيدا حاكمها من قبل ظاهر العمر ويدعى أحمد آغا الدنكزلي ومعه قوات من الصفديين، واهتم بتحصين المدينة وأسوارها لتتمكّن من الصمود إذا ما تعرضت لأي هجوم مفاجىء، واستخدم لذلك عدداً كبيراً من السكان، وأشار المعاصرون إلى التحصين المتخذ: «ومع ذلك فقد ظلت الأسوار ضعيفة، لا يمكنها الصمود أمام طلقة مدفع»[17].

وبسقوط صيدا تكون جميع المدن الساحلية الشامية، الممتدة من غزة إلى صيدا، وجانب كبير من فلسطين وولاية صيدا، قد تخلصت من السيطرة العثمانية واستبدلت بها نوعاً من الحكم الثنائي، المكوّن من ظاهر العمر وناصيف النصار وعلي بك الكبير. وبذلك يكون المتحالفان، علي بك الكبير وظاهر العمر قد حققا الجانب الأكبر من مشروعهما التوسّعي المشترك، القاضي بالسيطرة على كل الساحل الشامي، من غزة إلى طرابلس، على أن تمتد سلطة شيخ البلد لغاية غزة، في حين يخضع لسلطة ظاهر ما تبقى منه، على أن يقوم كل منهما بالتوسّع بمفرده، وبجهوده الشخصية في عمق البلاد الخاضعة له. وذلك الاحتلال

(15) A.E.B Alep le 17/11/1771; Marseille le 29/1/1772; A.E.B 1035 Seyde le 9/11/1771, 24/10/1771,

(16) أشار القنصل الفرنسي إلى أن الشيخ ناصيف النصّار والشيخ عباس العلي والشيخ علي الظاهر، تركوا حراسة على الخان الفرنسي: «حضروا لطمأنتي بأن لا أخشى شيئاً، وتركوني تحت حراسة رجالهم»، أنظر A.E.B 1035 Seyde le 9/11/1771

(17) Ibid, A.E, B 91 Alep le 17/11/1771.

للساحل الشامي سوف يمنحهما موقعاً ممتازاً من حيث نجدة بعضهما، وسوف تكون بلاد ظاهر العمر بمثابة حاجز يحمي علي بك الكبير من أعتى القوات، ويمكّنه من الانصراف إلى الاهتمام بحماية ما تبقّى من حدوده أي الصحراء والمغرب والبحر[18]. واتفق الحليفان على كيفية إدارة صيدا. فقد كلّف علي بك الكبير مصطفى بك أن يكون حاكماً من قبله، وكان يمثل سلطة ظاهر العمر أحمد آغا الدنكزلي، وكان الجمركي مصرياً ويجمع الضرائب لأمر علي بك الكبير الذي يقوم من جهته بتموين الجانب الأكبر من احتياجات الحامية، المؤلفة من مصريين ومغاربة وعدد مماثل لهم من الصفديين رعايا الشيخ ظاهر العمر. وكانت هذه الحامية تتناقص يوماً بعد يوم، ولم تكن تشكل قوة قادرة على الصمود، بالرغم من مجاورة العامليين لها، الذين كانوا على استعداد لنجدتها بقوة مؤلفة من ثلاثة إلى أربعة آلاف مقاتل. وتوقّع المعاصرون أنه لو توجهت قوة عثمانية إلى صيدا، مهما كانت درجة ضعفها، لأمكنها استعادتها بكل سهولة، لأن القائدين لن يستطيعا منع قواتهما التي تقوم بالحراسة من الهرب، هذا إن لم يبادرا هما أنفسهما إلى الهرب أولاً[19].

وفي هذه الأثناء وصلت إلى صيدا في 1773/5/11 أنباء عن نجاح التمرّد الذي قام به محمد أبو الذهب على سيده شيخ البلد علي بك الكبير، وما أن تنامت أخبارها إلى الشيخ ظاهر وعلم بوصول حليفه إلى غزة، حتى أسرع للقائه هناك ومعه خمسماية خيال. وانتشر خبر هروب علي بك في مدينة صيدا، فتمرّد ضباط الحامية المصرية وأعلنوا رغبتهم في الخروج طالما أن علي بك لم يعد يحكم، وبأنهم أصبحوا أحراراً من كل تعهد، وأحدثوا فوضى في كل مكان من المدينة، وأغلقت الحوانيت أبوابها وفرّ جميع السكان بحثاً عن ملجأ. ولكن صرامة أحمد بك الدنكزلي وحزمه لم يلبثا أن أعادا الهدوء إلى المدينة. وكتب القنصل الفرنسي إلى حكومته واصفاً وضع صيدا الصعب: «لا حكومة فيها ولا

---

(18) Ibid, 21/5/1772, Alep le 17/11/1771.

(19) Seyde (Bulletin) du 30/4/-2/5/1772.

مؤن، تسرح فيها عصابات المغاربة ينتظرون الفرصة المناسبة للسلب والنهب والذبح»[20].

وكانت فرصة مناسبة للقوات العثمانية المتجمّعة في دمشق لاجتياح صيدا في هذا الوقت المؤاتي، ولكنها لم تحسن التصرف وظلت قابعة في مراكزها. كما جبُن رعايا الأمير يوسف الذين تقع بلادهم على أبواب المدينة الشمالية عن اغتنام الفوضى التي كانت تسود صيدا لاستعادتها.

ونقصت الحامية المصرية إلى أقل من مايتي جندي، واستمر النقص بسبب فرار المماليك الذين كانوا يتوجهون، إما شمالاً إلى إمارة جبل الدروز حيث كان الدروز يرحّبون بهم وينزلونهم على السعة، وإما جنوباً إلى جبل عامل حيث ينهب العامليون ما معهم ويذبحونهم بدون شفقة[21].

## الاستعداد للمعركة الفاصلة

عانى الدنكزلي من نقص الحامية، فطلب من حلفائه مشايخ جبل عامل إمداده بقوة من عندهم، فدخل المدينة في التاسع عشر من أيار 1772 ثلاثماية منهم استطاع الآغا أن يستعين بهم في تقوية حاميته، التي كانت تتناقص باستمرار[22].

وباقتراب موعد المعركة الفاصلة بين الفريقين، ينبغي أن نتفحص قوة كل منهما، والمساعدات التي كان يُتوقع أن يحصل عليها من حلفائه.

كان باستطاعة ظاهر العمر أن يجند من بلاد صفد وعكا ما يقارب الستة آلاف مسلح، كما كان يشتري خدمات الأعراب في بلاد الشام. ولكن لم يكن بإمكانه أن يعتمد عليهم كلّياً في القتال، لأنهم كانوا قوات مأجورة لا تصمد في المعركة، ويفرّون عند أول صدمة بسيطة يتعرضون لها. كما كان يعتمد على مقاتلي جبل عامل المتاولة أنصار الشيخ ناصيف النصّار، الذين اعتادوا القتال

(20) إدوار لكروي، مرجع سابق.
(21) Seyde le 19/5/, 21/5/1772.
(22) Seyde le 21/5/1772.

تحت قيادة هذا الشيخ، وحققوا انتصارات على العثمانيين وعلى مقاتلي إمارة جبل الدروز، مما جعلهم يعتقدون بأنهم هم وحدهم الذين يملكون الشجاعة. وهؤلاء المقاتلون العامليون ليسوا سوى فلاحين مزودين بالأسلحة، لا يستطيعون ترك أراضيهم مدة طويلة، وقد لبّوا نداء زعيمهم ناصيف النصّار، وهبّوا لقتال أنصار الأمير يوسف، الذين يكرهونهم لدرجة غير معقولة. وكان العامليون السند الرئيسي لظاهر العمر وعلي بك الكبير، وكان عددهم يرتفع عند الحاجة إلى أربعة أو خمسة آلاف مقاتل[23].

وكانت القوات التي سيّرها الشيخ الزيداني للدفاع عن صيدا، مؤلفة من قوات الشيخ وأبنائه والعامليين[24]، ونصف قوات علي بك، ومعظم هؤلاء من الفرسان وعددهم ستة آلاف رجل، وانضم إليهم حسان بك حاكم صور بقواته[25]، وعددها حوالى 1300 مقاتل وحوالى ألف مغربي[26].

وكان عدد القوات العثمانية المتجمّعة في دمشق حوالى العشرين ألف جندي مشاة وعشرة آلاف من الفرسان، وكان هذا الجيش مزوداً بأربعة مدافع عيار 12 وأربعة أخرى من عيار 24. وكانت هذه القوات وحدها قادرة على تدمير العصاة، دون الاستعانة بمقاتلي إمارة جبل الدروز من أنصار الأمير يوسف[27].

وكان بإمكان الأمير يوسف أن يجمع حوالى أربعين ألف مقاتل من فلاحي بلاده، لكنهم كانوا لا يستطيعون وحدهم أن يقوموا بعملية الحصار. وكذلك غير قادرين على الابتعاد عن ديارهم أكثر من أربعة أو خمسة أيام. فالحملة توجب على كل شيخ أو فلاح أن يكون جندياً وقت الحرب، فيحمل بندقيته وذخيرتها وطعامه الذي يحتاج إليه للبقاء حيًّا، والمؤلف من الجبنة والزيتون وبصل أخضر وثمار وشيء من الخضر. وجميع هؤلاء من المشاة باستثناء الأمراء والمشايخ،

---

(23) A.E.B 1035 Seyde le 2/6/1772.

(24) فرنسوا فولني، مصدر سابق، جـ 1، ص 78.

(25) Lusignan (K). A History of revolt Aly Bey. op. cit. pp et (123-24)

(26) المصدر نفسه .Seyde le 28/6/1772

(27) .ibid

ويأبون النزول إلى السهول مفضلين الأماكن الوعرة، خشية أن يتعرّضوا لهجوم الفرسان فيقاتلون خلف الصخور والمتاريس الجبلية مسدّدين بنادقهم إلى العدو المهاجم. وبذلك يتجنّبون قذائفه وهم مَهرة في أسلوب القتال هذا ويجيدون الرماية والقيام بالحملات الليلية المباغتة، ويكمنون لعدوهم ويقتربون منه ويفتكون به[28].

ولكن من غير المدهش أنهم كانوا على الرغم من وفرة أعدادهم وشجاعتهم، جماعة غير منظمة، وقوات بدون فائدة، لا تحسن إقامة الاستحكامات واستعمال المدافع، وإقامة المعسكرات والقتال على الطرق الحديثة، وحين ينضب زاد المقاتل منهم يعود إلى بيته[29].

وفي الثلاثين من شهر أيار 1772 أصدر الشيخ ناصيف النصّار أوامره، إلى مشايخ قرى جبل عامل بالاستعداد للمسير ضد الأعداء[30]، وانضمت نصف قوات علي بك الكبير إلى قوات أبناء ظاهر العمر، ووصلت إلى حيث كانت تنتظرها قوات جبل عامل، وقوات حسان بك حاكم صور[31].

واستمر أنصار الأمير يوسف يردّدون كل يوم بأنهم سوف يبدأون بحصار صيدا، ولكن هذا الأمر كان يؤجّل من يوم إلى آخر. ويبدو أن السلطات العثمانية قد خشيت من هذا الموقف السلبي، فحضر إلى دير القمر أربعة باشوات، واجتمعوا بالأمير يوسف واستوضحوا منه موقفه من القتال الذي سيجري، والتأكد عما إذا كان سينضم إليهم بانصاره، ويسير لمحاصرة صيدا[32]. وفي نهاية الاجتماع أرسل الباشوات الأربعة سلحدار[33] من قبلهم إلى المدينة، حيث طلب

(28) فولني، مصدر سابق، جـ 1، ص 55 ـ 60.

(29) Seyde le 2/6/1772.

(30) Ibid

(31) Lusignan. op. cit. pp. (123-24).

A.E.B 1035 Seyde le 8/6/1772 (Deil-El-Kamar)

(32) Le 2 Juin 1772, 216/1772 (Bulletin)

(33) لفظة تركية مركبة من لفظة عربية تسلح ومن دار الفارسية بمعنى صاحب، فيكون معنى السلحدار حامل سلاح الوزير من رجال التشريفات الملازمين الخدمة له، وكان يرسله الوزير في بعض المهمات.

من الآغا أن ينسحب من صيدا بقواته. لكن الأخير أعاد السلحدار بدون جواب، وأرسل مندوباً من قبله إلى عكا واستمر في تحصين المدينة(34).

## التدخل الروسي

وفي الأول من حزيران ، تجمعت القوات المتوجهة لقتال المتمردين على بُعد أربع ساعات من صيدا(35)، ثم صعد نحو خمسة آلاف منها إلى قمة النبي إيليا التي تُشرف على المدينة(36). وتمكّنت قوات ظاهر العمر في هذه الأثناء من هزيمة قوات والي دمشق محمد باشا العظم، التي كانت قادمة بقيادته للانضمام إلى قوات والي القدس(37) الدالي خليل باشا وقوات الأمير يوسف، في سهل حوران، وأجبر الباشا العظم على تعديل خطته والانسحاب إلى دمشق. ثم توجّه الشيخ الزيداني بقواته المنتصرة إلى إنجاد قائده في صيدا، وأقام في السادس من حزيران معسكراً له في سهل العاقبية(38)، حيث كان العامليون بانتظاره هناك(39).

وفيما كان كل من الفريقين يتلقّى إمدادات جديدة، ومزيداً من المعدات طوال أيام السابع والثامن والتاسع من حزيران 1772، كانت ضواحي صيدا تتعرض لقصف مدفعي من قبل ثلاثة مراكب روسية، وهي جزء من عمارة روسية صغيرة مؤلفة من خمس عشرة قطعة. وتمكّنت القطع الثلاث من فك الحصار البحري المضروب على صيدا، من قبل مركب مسلح كان يمنع وصول السفن التي

---

(34) Ibid.

(35) Ibid le 28/6/1772 Seyde le 4 Juin; Auriant, L. (pseud) Catherin II et l'orient (1770-1774) *Acropole* Vol. 5 p 213.

(36) Seyde le 6/5/1772.

(37) الدالي كلمة تركية بمعنى الشجاع المجنون، وهم صنف من الجند معروفين في ذلك العهد لدى العثمانيين.

(38) سهل العاقبية يقع في الضواحي الجنوبية لمدينة صيدا.

(39) Auriant. op. cit, *Acropole*, vol. 5 p. 215; A.E.B 1035 Seyde le 28/6/1772 de Seyde le 4 Juin.

تحمل المؤن إلى مينائها، فطاردته تلك المراكب وأغرقته في خليج النبي يونس[40].

وفي مساء العاشر من حزيران أقلعت السفن الروسية المتجمعة في مياه صيدا لضرب بيروت[41]، وذلك بهدف إجبار الدروز على الانسحاب والدفاع عن أهم مدنهم، والميناء الوحيد المتبقي لهم على البحر ومعاقبة الأمير يوسف وإجباره على التنازل عن منصبه لصالح عمه الأمير منصور[42].

وعند بزوغ فجر الحادي عشر هاجمت خيالة القوات الحليفة لظاهر العمر خيالة أعدائها وأنزلت بهم الهزيمة[43]، وفي النهاية عمّ الهدوء صيدا كأنه لم يكن هناك معركة[44]. وأشارت الوثائق الفرنسية المعاصرة، الصادرة عن صيدا إلى ما جرى، بقولها:

«لم نعد نشاهد إلا أناساً فارين وآخرين يطاردونهم، ولكن المطاردة طالت مدة أكثر»[45].

وكان لهذه الهزيمة التي نزلت بالقوات العثمانية نتائج بالغة الأهمية وبعيدة المدى، إذ إنها لم تكن مجرّد هزيمة في معركة من المعارك التي جرت بين ظاهر العمر وعثمان باشا، وهما خصمان إقليميان، وإنما هزيمة لكل الجهود العثمانية التي كان يجري التحضير لها، بغرض سحق عصيان القوى المتمرّدة في بلاد الشام الجنوبية، والأهم من ذلك أن الهزيمة إنما تمّت بمساعدة قوة أوروبية

---

(40) Seyde le 28/6/1772; perosn, William. (The Russian Occupations of Beirut), *Royal centre Asian Journal*, July-Octobre, 1955. p. 279.

- خليج النبي يونس يقع في بلدة الجية على بعد 13 كيلومتراً شمال صيدا.

(41) حيدر الشهابي، **الغرر**، مصدر سابق، ص 94؛ روفائيل كرامة: **مصادر تاريخية**، ص 40.

(42) حنانيا المنيّر، الدر، مصدر سابق، **المشرق** م 49 ص 266.

(43) أرخ هذه الحادثة حيدر الشهابي في نهار الثلاثاء 22 أيار، راجع: **الغرر**، مصدر سابق، جـ 1، ص 93؛ Auriant. op. cit, *Acropole*, vol.5 p. 215 A.E.B 1035 seyde le 28/6/1772.

(44) Seyde le 28/6/1772؛ روى مؤرخو جبل عامل الحادثة بخلاف ما ذكرناه، راجع: **العرفان**، م 26، ص 364.

(45) Ibid

معادية، كان لها دور بارز فيما حدث، مما يشير إلى حقيقتين بارزتين:

1 - إنه لا يزال يوجد في تلك المنطقة قوى محلية قوية، كانت ترغب في مساندة أية محاولة لقلب السيطرة العثمانية.

2 - إن قوة المقاومة من جانب الحكام والجيوش العثمانية الإقليمية كانت معدومة.

### جهود العثمانيين لاستعادة صيدا

انتهز قائد القوات العثمانية في بلاد الشام السر عسكر[46] عثمان باشا فرصة انشغال ظاهر العمر وحلفائه بحصار يافا، فجهّز حملة لاستعادة صيدا في الرابع عشر من تشرين الأول 1772، وأشار القنصل الفرنسي إلى الحملة بقوله: «فجأة شاهدنا طلائع حملة عثمانية تنحدر من الجبال المشرفة على ساحل هذه المدينة». لكن الحملة انسحبت إلى بيروت دون أن تتمكّن من تحقيق أي نجاح. وجهز عثمان باشا حملة أخرى في الثاني والعشرين منه اجتازت نهر الأولي، كما حضر مركبان مسلحان من بيروت واقتربا من مدينة صيدا عند الساعة الثامنة من يوم الخامس والعشرين، وقصفا المدينة بدون توقف، لكن القذائف سقطت جميعها في البحر. إلا أن الحملة البرية انسحبت وكذلك المركبان، وبذلك ذهبت عبثاً الاستعدادات الكبرى وكل الجهود التي قام بها ضباط السلطان العثماني ضد المتمرّدين[47].

ويبدو أن فشل الحملات العثمانية المباشرة قد دفع الوالي خليل باشا إلى التفكير باحتلال المدينة، عن طريق إجبار القوة الرئيسية المدافعة عنها، أي العامليين، بإخلائها والإسراع إلى بلادهم، للدفاع عن قراهم ونسائهم وأطفالهم، وذلك عن طريق مهاجمة تلك البلاد من جهة جباع، في حين ينطلق أمير حاصبيا

(46) سرعسكر: لفظة فارسية بمعنى الرأس وتعني قائد العسكر، وكان يطلق هذا اللقب على قائد الجيوش العثمانية في الولايات الشامية.

(47) Seyde le 30/10/1772.

اسماعيل الشهابي بقواته من وادي التيم، ويتوغل في بلادهم من جهة مرجعيون، وبذلك يضطر هؤلاء لتشتيت قواتهم على جبهتين. لكن الأمير رفض التعاون مع الباشا، وأعلمه بأنه سوف ينضم إلى ظاهر العمر، فاضطر الوالي خليل إلى التخلي عن مخططه، وانسحب الى دمشق[48].

## الجزار متسلم بيروت

وانسحبت القوات العثمانية من بيروت أيضاً، ووضع الأمير يوسف كل آماله بالجزار، الذي تمكّن بمزيج من المباهاة أن يؤثّر تدريجياً على الأمير الكبير، فعهد إليه أن يحكم بمفرده مدينة بيروت[49]، فكوّن فرقة عسكرية تقدر بحوالي 1200 مسلح من المغاربة وأجناس أخرى جمعهم بالصدفة، وذلك لكي يتمكّن من تحقيق أهدافه، وكان هدفه العمل لمصلحة السلطان[50]، واهتم بترميم أسوار المدينة وتحصينها[51]. وأرسل فرقتين من جنوده أغاروا على ضواحي صيدا، وفرضوا عليها حصاراً اقتصاديًّا، وأصبحت الحنطة سلعة نادرة الوجود باهظة الثمن، واشترك رعايا إمارة جبل الدروز بالحصار الاقتصادي، على أمل أن يؤدي ذلك الحصار إلى إجبار الدنكزلي وجنوده على الانسحاب من مدينة صيدا[52].

وردّ الدنكزلي على الإساءة بأبلغ منها، وأجبر رعايا إمارة جبل الدروز على التخلّي عن الاشتراك في هذه الحملات المضادة عن طريق منعهم من دخول صيدا، لتصدير حرير الجبل واستيراد ما يحتاجونه عن طريقها. فأمر بالقبض على جميع رعايا الإمارة المتواجدين في صيدا، للتجارة مع الفرنسيين، ووضعهم في السجن. فقرر رعايا الإمارة ضرب النشاط التجاري في مدينة صيدا، وحرمان

---

(48) Ibid

(49) حيدر الشهابي، تاريخ أحمد باشا الجزار، ص 50.
Hammer. (La vie d'Ahmed Djezar Pacha), *Dundgruben des orients*, vol. 16 p. 289;
Seyde le 24/4/1773.

(50) Seyde le 24/4/1773.

(51) المصدر نفسه، ص 51؛ رستم باز، مذكرات رستم باز، ص 4؛ حنانيا المنيّر، الدر، مصدر سابق، المشرق، م 49، ص 268.

(52) A.E.B 1036 Seyde le 30/12/1773.

المتسلّم من الضرائب التي يجنيها من تجارة الاستيراد والتصدير عن طريق مرفأ المدينة. ولما كانت تجارة الفرنسيين هي العمود الفقري الذي يقوم عليه اقتصاد المدينة، فقد قرروا دفع القنصل الفرنسي للتدخل لدى الدنكزلي للإفراج عن المعتقلين، عن طريق تهديد التجارة الفرنسية التي تمرّ بالجبل من وإلى دمشق، وتجار الفرنسيين المتواجدين في قرى الجبل بهدف شراء محاصيله الزراعية. فكتب القنصل الفرنسي إلى الأمير يوسف يحذّره من تصرّف رعاياه الخاطىء، وأعلمه بأن معرفة الدنكزلي بالشروط المعروضة من رعايا الأمير، سوف تؤدّي إلى تعريض المساجين للشنق. فأمر الأمير باحترام كل ما يخص الفرنسيين وبتسهيل جميع أعمالهم، فأمر الدنكزلي بالإفراج عن جميع المعتقلين من رعايا الأمير يوسف[53].

ولم يلبث الجزار أن تمرّد على الأمير يوسف، وفشلت كل جهود رعايا الجبل في إخراجه من بيروت، وتخلى عنهم ممثل السلطات العثمانية في ولاية دمشق. واضطر الدروز إلى مصالحة ظاهر العمر، الذي أوعز إلى الأسطول الروسي بقصف مدينة بيروت، لكن الجزار لم يستسلم وبقي صامداً[54]، ينتظر حملة عثمانية تعدّ من عدة باشوات ضد قوات المتمرّدين[55]. لكن هذه الحملة لقيت هزيمة منكرة في سهل البقاع، من قبل قوة خيالة بقيادة علي الظاهر وناصيف النصّار[56]، وأُجبر الجزار على الاستسلام على يد الشيخ ظاهر العمر[57].

## عفو الدولة عن ظاهر العمر

وإزاء فشل قائد القوات العثمانية السرعسكر عربستان عثمان باشا المصري في صدِّ ظاهر العمر وحلفائه، فقد خشي أن يُعزل من منصبه بعد وفاة السلطان مصطفى الثالث (1757 ـ 1773)، إذا لم يعمد إلى إيجاد حل للموقف في بلاد

---

(53) Ibid

(54) Seyde le 6/8/, 30/11/1772 (Bulletin); charles-rovic. op, cit. p. 21;
ادوار لكروي، مرجع سابق، ص 102.

(55) Seyde le 6/8/1773.

(56) Ibid.

(57) Seyde le 30/11/1773 (Bulletin)

الشام الجنوبية، بعد أن ظهر فشله، من الناحية العسكرية في تحقيق أي نصر على المتمرّدين في تلك البلاد[58].

ونجحت وساطة الشيخ قبلان حاكم صور والشيخ حسين أفندي، وتم التوصل إلى اتفاق ما بين عثمان باشا بصفته وكيل السلطان من جهة، وظاهر العمر والعامليين من جهة أخرى[59]. وأذاع الباشا في 29 كانون الثاني العام 1774، بياناً في دمشق، ولمدة ثلاثة أيام متتالية أعلن فيه عفو السلطان عن ظاهر العمر ومنحه حكم البلاد التي يحتلّها حالياً: سناجق (نابلس وغزة والرملة ويافا وعجلون كالتزام، وصيدا كملكانة)، مقابل أن يدفع الميري المعتادة، وبأن السلام سوف يعم بين جميع رعايا الباب العالي، وبأنه قد أصبح بإمكان الجميع السفر حيث يشاؤون دون خوف أو خشية[60]، وأشار المؤرخ حيدر الشهابي إلى هذا الاتفاق بقوله:

«أن ينعم عليه في إيالة[61] صيدا على وجه المالكانة[62]، وأن يدفع عن البقية

---

(58) Rafek, (A.K). The province of Damascus, pp. (303-304)

(59) A.E.B 1036 Seyde le 31/1/1774 Damas le 29 Janvier, 31/1/1774 (Extrait d'une lettre par le Muphty de Damas à un Turc de Seyde le 24e Janvier, 28/2/1774, 4/3/1774 (Bulletin) joint le lettre de chevalier de Taulès 28/2/1774; Cohen, Amnon. Palestine in the 18th Century, p. 46.

(60) Seyde le 31/11/1774.

(61) **إيالة**: لفظة عربية، مشتقة من فعل «آل»، بمعنى ساس ومارس السلطة؛ جب وبون، هاملتون وهارولد، **المجتمع الاسلامي والغرب**، جـ 1، ص 199، هامش 2؛ لم تكن مساحة الإيالة ثابتة، بل إنها تتباين في كثير من الأحيان، وفقاً لرغبة السلطان، فقد ينتزع إحدى مدنها أو أراضيها ويضمها لأخرى، وفقاً لما تقتضيه المصلحة العامة. Tresse (R). Le pélerinage aux ville, sainte, p.76؛ وليس هناك حد جازم لانتشار لفظة إيالة أو ولاية في التقسيم الإداري عند العثمانيين وأي اللفظين استعمل أولاً. وقد يكون لفظ أيالة قد سبق لفظ ولاية في عهد السلطان سليم الأول (1512 ـ 1520)، وبعد ذلك شاع كلا اللفظين. ولكن بعد عودة العثمانيين إلى بلاد الشام تورد السالنامة لفظ إيالة وبقي ذلك حتى صدور قانون تشكيل الولايات العام 1864 حيث اختفى اللفظ إيالة، وساد استعمال ولاية حتى نهاية العهد العثماني. وهذا لا يعني أن لفظ إيالة لم يكن مستعملاً، فمثلاً في مخطوط في متحف طوبقبو يعود إلى العام 1071 هـ/ أي منتصف القرن السابع عشر الميلادي ورد لفظ «شام ولايتي» 1661 م، عبد العزيز عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية (1864 ـ 1914)، ص 70.

(62) **المالكانة**: لما كان التزام الضرائب لفترة قصيرة يسبّب استنزاف موارد الفلاح الاقتصادية، بسبب انتقاله =

التي باقية في ايالة صيدا الف كيس عن طريق المعاجلة وأربعماية وخمسون كيس في كل عام مال ميري[63]، وأن يؤدي خدمة الجردة[64] كجاري المعتاد...»[65].

وكتب القنصل الفرنسي في صيدا إلى حكومته يبشرها بهذه الأوضاع الجديدة التي انتشرت في بلاد الشام: «بحمد الله انتهت كل الأمور لما فيه رغبات السلام»[66]، ثم عاد القنصل المذكور، وأكد عودة الاستقرار بقوله: «حين غادرت صيدا، كان الهدوء يعم منطقتي، كما كانت في هذه الأثناء كل الطرقات سالكة»[67].

وباعتلاء عبد الحميد الأول (1773 - 1789) العرش العثماني في كانون الأول 1773، عمل على إعادة تنظيم الامبراطورية، وكان ضحية هذا التنظيم الجديد

---

= من يد لأخرى، وفي كل مرة تزداد قيمته، حتى يصبح في النهاية عبأ باهظاً على عاتق الفلاح، أصدر السلطان مصطفى الثاني (1695 - 1703) في أوائل حكمه العام 1695، قانوناً بتحويل التزام المقاطعات السنوية إلى مدى الحياة، وأطلق عليها (مالكانات). ويدفع صاحب المالكانة عدا الميري المقرر على أرضه مالاً معجلاً أو «حلوانا ورسم (قلمية) ورسوماً أخرى متنوعة، على أن يكون له إيراد المالكانة كله، حتى إذا مات صاحب المالكانة عرضت للمزايدة على أن يكون لأبناء المتوفى الحق بالاحتفاظ بها، إذا كانوا جديرين باستغلالها وتأدية أموالها.

Bowen, H. and Gibb, H.A.R. Islamic Society and the West, vol. 1, p. 259.

(63) **الميري**: وهي نسبة إلى لفظة أمير العربية، استعملت في التركية وفي اللغة العامية، بصورة ميرة. واللفظة هي اختصار للتعبير المال الأميري أي الضريبة. والميري هي المال المفروض على الأرزاق والأعناق لحساب خزينة الدولة؛ صادق فارس رشوان حنا، **شرح مفردات في نصوص القرن التاسع عشر...** ص 139.

(64) **الجردة**: قافلة مؤن (بقسماط [كعك] وزيت وأرز وشعير وحبال وملابس) تكلف الدولة أحد ولاتها في حلب أو طرابلس أو صيدا، لإعدادها وإرسالها لإسعاف الحجاج وهم في طريق العودة، خشية أن يكون ما عندهم قد نفد. ويصحب الجردة عادة طوائف من الجند لحراستها، والاشتراك مع الجنود المرافقين لأمير الحاج في حراسة قوافل الحج في طريق العودة؛ أحمد البديري الحلاق، **حوادث دمشق اليومية**، أنظر المقدمة التي وصفها د. أحمد عزت عبد الكريم، ص 52.

(65) راجع النص الكامل للرسالة لدى: حيدر الشهابي، الغرر، مصدر سابق، جـ 1، ص 99 - 100؛ عبد العزيز نوار، **وثائق أساسية في تاريخ لبنان الحديث**، ص 144 - 145.

(66) A.E.B 1036 seyde le 31/1/1774 (Extrait d'une lettre écrite par le Muphty de Damas)

(67) Seyde le 26/9/1774.

عثمان باشا المصري، وبذلك لم يعد للاتفاقات المذكورة أية قيمة، ونصح والي دمشق الجديد محمد باشا العظم، ظاهراً، بأن يتقدّم من الباب العالي بالاقتراحات التي يراها مناسبة من أجل الوصول إلى اتفاق نهائي[68]. وفي الثاني من تشرين الثاني 1774 طلب ظاهر العمر من السلطان عبد الحميد أن يعطيه صيدا وغزة والرملة كملكانة، كما سبق واقترح عثمان باشا المصري في شباط (1774)، وأراد ظاهر من وراء ذلك أن لا يدخل في صراع مع الأمير يوسف الشهابي، كما كان يفضل إعطاءه الأماكن التي اقترحها كملكانات، بدلاً من تعيينه حاكماً على ولاية صيدا، لأن ذلك يجنّبه التعقيدات التي قد تنشب بين المتاولة والدروز من جهة، وما يلي ذلك من عزل ومصادرة[69].

## تحرير صيدا

يبدو أن اللقب الذي منحه الباب العالي لظاهر، والي صيدا، لم يكن في الواقع سوى عبارة فارغة، ولذا باشر بإعداد القوة اللازمة لجعل سلطة ظاهر العمر محصورة ضمن منطقة لقب ملتزم عكا. فثبت السلطان الجديد عبد الحميد الأول الوعود التي أُعطيت لظاهر العمر، ولكن هذه المرة مع رغبة في إيقافها والقضاء عليه في الوقت المناسب. وإذا كان الباب العالي في الماضي يعتمد على والي دمشق السابق عثمان باشا المصري في محاولاته المتعددة للحدّ من سلطة ظاهر العمر في المنطقة، فقد ارتكب الوالي المذكور خطأً خطيراً بتخليه عن الأمير يوسف، حين انتزع الجزار من الأخير مدينة بيروت وتمرّد فيها. وبتوقيع السلطات العثمانية لمعاهدة كجك قينارجي (Kuçuk Kanarça) في تموز 1774، التي أنهت الحرب الروسية ـ العثمانية، وابتعاد الأسطول الروسي عن الشاطىء الشامي، صار باستطاعة الباب العالي أن يوجّه أنظاره إلى الولايات الشامية، وهو على ثقة أنه سوف يحرز انتصاراً. وبالطبع، لم يكن والي دمشق الجديد محمد باشا العظم، بنظر السلطات العثمانية، مؤهلاً للقيام بهذه المهمة

(68) Cohen, Amnon. op. cit, p. 48.
(69) Rafek. op. cit., (303-304).

أيضاً، فوجهوا أنظارهم إلى محمد بك أبي الذهب، الذي أجبر سيده على الفرار من مصر، واللجوء بمن رافقه من المماليك إلى بلاد الشام حيث وجد الترحيب من حليفيه ظاهر العمر الزيداني وناصيف النصار. وحين فشل علي بك الكبير بإقناع ظاهر العمر بإمداده بقوات من عنده تساعده في العودة إلى مصر، اضطر أن يعتمد على نفسه بالعودة(70)، لكن قوات محمد بك أبي الذهب تمكنت من هزيمته في معركة جرت عند الصالحية في الثاني من نيسان 1773 فأصيب بجروح مميتة، توفي بعدها بعدة أيام(71).

وبذلك ارتاح محمد بك أبو الذهب من سيده السابق وأصبح سيد مصر الأوحد بدون منازع على السلطة، فالتمس من السلطان عبد الحميد الأول أن يأذن له بمحاربة ظاهر العمر وإعادة البلاد التي اغتصبها الأخير إلى سلطة الدولة(72). فجهز حملة احتلت غزة والرملة ويافا(73)، وأخلى ظاهر العمر عكا ولجأ إلى قلعة هونين لدى الشيخ قبلان(74). وأرسل أحمد آغا الدنكزلي كتاباً إلى أبي الذهب يعلن فيه أنه تحت تصرفه، فأتاه تطمين من محمد بك أبي الذهب، وطلب منه الاستمرار في حكم صيدا(75)، ثم لم يلبث أن أرسل القائد المملوكي بحراً متسلماً(76) من قبله إلى صيدا ليحل مكان الدنكزلي، وكان يرافقه قوة مؤلفة من مايتي مملوك(77).

---

(70) Livingston, John William. Ali Bey Al-Kabir and the Mamluk Resurgence in Ottoman Egypt (1760-1772). p. 175.

(71) عبد الوهاب بكر، **الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر**، ص 82 ـ 83.

(72) فولني، مصدر سابق، جـ 1، ص 106؛ حنانيا المنيّر، مصدر سابق، **المشرق**، م 49، ص 74.

(73) المصدر نفسه، جـ 1، ص 107 ـ 110.

(74) ميخائيل الصباغ، **تاريخ الشيخ ظاهر العمر**، ص 134.

(75) حيدر الشهابي، **نزهة الزمان...**، ص 128.

(76) المتسلّم: مفردة تركية، عربية الأصل، وهي اسم فاعل من تسلم. والمتسلم في الإدارة العثمانية هو الذي يعهد إليه تسلم الولاية أو تسلم السنجق إذا خرج الوزير حاكم الولاية إلى القتال. وهي هنا: أي عيّنه متسلّماً من قبله على مدينة بيروت، يجبي الضرائب المفروضة على المدينة ويرسلها إليه؛ صادق فارس رشوان حنا، **شرح مفردات**، ص 122.

(77) حيدر الشهابي، **نزهة**، ص 128؛ الجزار، مصدر سابق، ص 64؛ ميخائيل الصباغ، مرجع سابق، ص 33.

وفي العاشر من حزيران 1773 أعلنت وفاة أبو الذهب، وأرسل مشايخ جبل عامل بفرقة من رجالهم، لإخراج المماليك الذين كانوا في صيدا طوعاً أو إكراهاً، وانكسر العامليون في هذا القتال(78). في حين أعلنت الحامية المصرية أنها لن تنسحب من المدينة إلا بأمر السلطان(79)، لكي لا يستلمها العامليون الذين نهبوها عدة مرات، وبأن المدينة تحت إمرة السلطان العثماني، وطلبوا من باشا طرابلس وباشا دمشق أن يرسلا قوات من عندهما لاستلام صيدا(80).

وأرسل والي دمشق كتيخداه محمد آغا لاستلام صيدا بانتظار أن يعيّن الباب العالي حاكماً من قبله، وحين دخل المدينة في الثاني والعشرين من حزيران ومعه خمسون مسلحاً، استقبله الأهالي بالزغاريد وإطلاق المدافع(81)، واعتبروا عودة العثمانيين حدثاً سعيداً، وتوقعوا توقف الفوضى والقتال الذي يسود البلاد منذ أكثر من أربع سنوات، ووعدهم المتسلّم بعودة الهدوء والطمأنينة(82).

وهكذا استعاد الباب العالي مدينة صيدا من سيطرة القوى المحلية المتمرّدة عليه، ولعب الحظ دوره فنجا ظاهر العمر من حملة أخرى وجهتها السلطات العثمانية للتخلص منه، لكن هذه الحملة كانت قد أظهرت مدى الضعف الذي أصاب قواته. وبصعوبة فائقة استطاع ظاهر العمر أن يركّز وضعه في عكا، لكن الثقة بقواته قد تعرضت لصدمة قوية، كما أن جانباً كبيراً من هذه القوات كان قد تحول إلى مناصرة ابنه علي.

وأصرّ الباب العالي على خطته القاضية بتدمير ظاهر العمر، لذا أسرع بإعداد مخطط للتحرك، متبعاً استراتيجية جديدة في التحرك، تختلف عن سابقاتها، علماً أن كل محاولة لتدمير ظاهر العمر، كانت في السابق تعتمد على حملات برية،

---

(78) المصدر نفسه.

(79) حيدر الركيني، مصدر سابق، العرفان، م 28، ص 256؛

A.E.B 1037 Seyde le 25/6/1775.

(80) Ibid

(81) Ibid (jerint la lettre de M. Martin.

(82) Seyde le 25/6/1775

في حين خُطط هذه المرة ليكون الهجوم الرئيسي من البحر، بمساعدة قوات برية. ونجح الباب العالي في إتمام مشروع القضاء على الشيخ ظاهر، على يد حملة عسكرية عددها أقلّ من الحملات التي حاولت سابقاً هزيمته[83]، وبالرغم من مواهبه البارزة، وضعف المقاومة العثمانية التي واجهها. إذ لا يمكننا أن نعزو انتصاراته إلى مواهبه فقط، فقد كان يعتمد على قطاع عريض من الزعامات المحلية في مصر وجبل عامل وإمارة جبل الدروز وغيرها، وكذلك مساعدة عشيرته بني زيدان. ولكن في اللحظات الحرجة تخلى عن ظاهر العمر ذي الثمانين عاماً كل هؤلاء، فانهار حكمه فجأة.

وبعد ست سنوات على انهيار حكم ظاهر العمر، جاء دور مشايخ جبل عامل، فاجتاحت بلادهم حملة عثمانية وحطمت القلاع الرئيسية فيها وحكمهم الذاتي الذي أقاموه في المنطقة. واستبدلت بزعمائهم الذي فرّوا من البلاد متسلمين من قِبل والي صيدا، مزودين بفرق عسكرية قادرة على السيطرة بفعالية على القرى.

(83) للمزيد من المعلومات حول نهاية ظاهر العمر يراجع: حيدر الشهابي، الغرر، جـ 1، ص 112 ـ 113؛ والجزار، مصدر سابق، ص 69؛ حنانيا المنير، الدر، المشرق، م 50، ص 192 ـ 194؛ عبود الصباغ، مرجع سابق، ص 35 ـ 36؛ فولني، مصدر سابق، جـ 1، ص 85 ـ 87؛ لكروي: مرجع سابق، ص 133؛ ميخائيل الصباغ، مرجع سابق، ص 146 ـ 149 و174؛ ميخائيل بريك. مصدر سابق، ص 104.
Homsy. op. cit., p. /5/; A.E.B 1037 Seyde le 2/9/1775 (joint la lettre de M. Martin le 24/4/, 30/5/, 2/9/1775.

# مصادر ومراجع البحث

## أولاً ـ الوثائق غير المنشورة

### أ ـ أرشيف دار الوثائق القومية في باريس:

Répertoire numérique de la Sous-Série B[1] Correspondance consulaire-lettres Reçues[(1)]

| | Numéros des volumes | Nombres des volumes | Années[(2)] |
|---|---|---|---|
| Seyde | 1017 | 1 | 1645-1704 |
| | 1041 | 25 | 1785-1790 |
| Alep | 76 | 1 | 1630-1707 |
| | 97 | 22 | 1787-1791 |

(1) تعتبر التقارير القنصلية الفرنسية (رقم B[1]) أهم المصادر من نوعها، وتفيد كثيراً في كتابة تاريخ الولايات العربية في العهد العثماني، وخاصة منذ مطلع القرن الثامن عشر، وذلك بسبب دقتها والتفاصيل السياسية التي تمدنا بها. وتوجد التقارير القنصلية التي تتعلّق بالفترة قبل العام 1793 في دار الوثائق الوطنية (Archives Nationales) في باريس. وقد صدر في تلك السنة قرار عن حكومة الثورة الفرنسية بنقل مسؤولية الإشراف على القنصليات من وزير البحرية وغرفة تجارة مرسيليا إلى وزير الخارجية الفرنسي. وعلى هذا، فالتقارير القنصلية التي تعود إلى الفترة بعد سنة 1793 توجد في مقر وزارة الخارجية الفرنسية (Quai d'orsay)، في باريس.

(2) يدل العدد الأول على رقم المجلد، والعدد الثاني على أعداد المجلدات العائدة لقنصلية ما، ويحتوي كل مجلد على وثائق للسنوات المذكورة بجانبه. وتحاشياً للإطالة، فقد ذكرنا فقط رقم وعدد سنوات المجلدين الأول والأخير في كل قنصلية، وتشير النقاط إلى المجلدات بينهما. ويلاحظ أن أغلب الوثائق تتعلق بالقرن الثامن عشر حين ازداد اهتمام فرنسا بالتجارة مع بلاد الشام بسبب تشجيع كولبير (Colbert)، وزير لويس الرابع عشر لذلك، وأيضاً بسبب قوة البورجوازية الفرنسية وبحثها عن الأسواق. عبد الكريم رافق، مرجع سابق، ص 443.

### ب ـ المخطوطات


(1) الترك، نقولا، **حوادث الزمان في جبل لبنان**. مخطوط مصور على ميكروفيلم في مكتبة يافث في الجامعة الأميركية في بيروت ومسجل فيها تحت الرقم: (MICA/393I) عن نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق الرقم (4724). وجميع المعلومات الواردة في هذا المخطوط عن تاريخ الأمير حيدر الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ولكن بعبارة وأسلوب الترك (لا.ت).

(2) الشهابي، حيدر: **نزهة الزمان في حوادث عربستان**، مخطوط موجود في مكتبة يافث في الجامعة الأميركية في بيروت ومسجل فيها تحت الرقم: (MS/956.9/Sh 55I a) ناسخ المخطوطة ناصيف

اليازجي العام 1833، المعلومات عن نسخة بخط خليل منصور المشعلاني العام 1884. يتضمّن هذا المخطوط نفس المعلومات الواردة في (لبنان في عهد الأمراء الشهابيين) باستثناء بعض التفاصيل في بعض الأحداث التاريخية أشرنا إليها في هوامش بحثنا.

(3) الصبّاغ، عبود: **الروض الزاهر في تاريخ ظاهر**، مخطوط منسوخ بالتصوير الشمسي وموجود في مكتبة يافث في الجامعة الأميركية في بيروت دون ذكر اسم المؤلف وإنما تحت عنوان (ظاهر العمر جزء من تاريخه) مسجل تحت الرقم: (MS/956/ZI7 mA).

(4) نكد، نسيب: **تاريخ النكديين**، مخطوط موجود في مكتب يافث في الجامعة الأميركية في بيروت ومسجل تحت الرقم: (MS/920/N/6TA) يتحدث عن العادات والتقاليد الاقطاعية وموقف آل نكد من الصراع الحزبي الذي كان يسود جبل الدروز في القرن الثامن عشر.

(5) نوفل، نعمة الله نوفل (الطرابلسي): **كشف اللثام عن محيا الحكومة والأحكام في إقليمي مصر والشام**، مخطوط في مكتبة يافث في الجامعة الأميركية في بيروت مسجل فيها تحت الرقم: /MS) (956/N 32 KA، جمعت المادة التاريخية لهذا المخطوط من تاريخ جودت باشا وبعض الحوليات اللبنانية.

## ثانياً ـ مخطوطات منشورة

(1) باز، رستم، **مذكرات رستم باز**، نشرها د. فؤاد افرام البستاني - بيروت ـ الجامعة اللبنانية، 1955.

(2) البديري، أحمد الحلاق، **حوادث دمشق اليومية (1741 — 1762)**، نشره د. أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، سنة 1959.

(3) بريك، ميخائيل، **تاريخ الشام (1720 — 1782)**، نشرة الخوري قسطنطين الباشا، حريصا، العام 1930، عن النسخة الوحيدة الموجودة في مكتبة برلين من مخطوطاتها العربية الرقم (9786).

(4) جروة، ميخائيل (البطريرك اغناطيوس)، **مسيرة حياتي**، نشره الخوري اسحق أرملة في كتاب بعنوان: (دير سيدة النجاة)، جونية، 1946.

(5) الحتوني، منصور، **نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية**، نشره فؤاد ابراهيم يزبك (لا.ت).

(6) الخازن، شيبان: تاريخ شيبان، نشره الأب بولس مسعد والشيخ نسيب وهيبة الخازن في مجلة **الأصول التاريخية**، ـ المجلد الرقم 3، العام 1958، من ص 330 إلى 539.

(7) الدمشقي، ميخائيل، **تاريخ حوادث الشام ولبنان**، نشره الأب لويس المعلوف، بيروت، العام 1912، عن نسخة المتحف البريطاني، المؤلف من موظفي الحكومة في دمشق.

(8) الركيني، رضا حيدر، **جبل عامل في قرن**، نشرته مجلة **العرفان** ابتداءً من المجلدات الأرقام: 27 و28 و29 من الأعوام 1937 - 1940.

(9) السبيتي، الشيخ علي، **جبل عامل في قرنين**، نشرته مجلة **العرفان** في المجلد الرقم 5 العام 1912.

(10) الشدياق طنوس، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، نشره د. فؤاد افرام البستاني العام 1970.

(11) الشهابي، أحمد حيدر، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**، نشره د. أسد رستم ود. فؤاد افرام البستاني، بيروت، العام 1933. (3 ج).

(12) الشهابي، حيدر، **تاريخ أحمد باشا الجزار**، نشر الأب انطونيوس شبلي والأب اغناطيوس عبده خليفة، بيروت، العام 1955.

(13) الصبّاغ، ميخائيل، **تاريخ الشيخ ظاهر العمر حاكم عكا وبلاد صفد**، نشره الأب قسطنطين الباشا، حريصا (لا. ت)، ويتضمن مقدمة للناشر حول نظم الحكم والإدارة في الولايات السورية.

(14) العورة، ابراهيم، **تاريخ ولاية سليمان باشا العادل**، نشره الأب قسطنطين الباشا، صيدا، العام 1936.

(15) العينطوريني، انطونيوس أبي خطار، **مختصر تاريخ جبل لبنان**، مخطوط، نشره الأب اغناطيوس الخوري، بيروت، العام 1953.

(16) القاري، رسلان بن يحيى، **ولاة دمشق في العصر العثماني**، نشره د. صلاح المنجد، دمشق، العام 1949

(17) كرامة، روفائيل (القس)، **مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسوريا (1745 — 1800)**، نشره المطران باسيليوس قطان، بيروت، العام 1929.

(18) المحاسني، سليمان بن أحمد، **حلول التعب والآلام بوصول أبي الذهب إلى دمشق الشام**، نشره د. صلاح المنجد، بيروت، العام 1962.

(19) مشاقة، ميخائيل، **الجواب على اقتراح الأحباب**، وهو تاريخ بيت مشاقة وبر الشام، نشره د. أسد رستم وصبحي أبو شقرا، بيروت، العام 1955.

(20) **مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان**، نشره ملحم عبده واندراوس شخاشيري، مصر، العام 1909.

(21) المنيّر، حنانيا، **الدر المرصوف في تاريخ الشوف (1657 - 1807)**، نشره الأب اغناطيوس سركيس في مجلة **المشرق**، المجلدات الأرقام 48 - 51، الأعوام 1954 - 1957.

(22) تاريخ الرهبنة الحناوية الشويرية، نشره أنطونيوس شبلي واغناطيوس عبده خليفة كملحق في كتاب أحمد الجزار، بيروت، العام 1955.

(23) مجهول المؤلف، **تاريخ الأمراء الشهابيين** بقلم أحد أمرائهم في وادي التيم، نشره د. سليم الهشي، بيروت، العام 1971.

## مؤلفات ودراسات حديثة

- بون وجب، هارولد، وهاملتون، **المجتمع الإسلامي والغرب**، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة، 1971.
- الجبرتي، عبد الرحمن، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق وشرح حسن جوهر وعمر الدسوقي وابراهيم سالم، الجزءان الأول والثاني، تحقيق عبد الرحمن السرنجاوي عوضاً من عمر الدسوقي، الطبعة الأولى، (1955 - 1965).
- رافق، عبد الكريم، **بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني إلى حملة نابوليون بونابرت**، دمشق، 1956.
- رمضان، محمد رفعات، **علي بك الكبير**، القاهرة، 1950.
- زيادة، خالد، **أركيولوجيا المصطلح الوثائقي**، الجامعة اللبنانية، طرابلس، 1986.
- سليمان، أحمد السعيد، **تأصيل ما ورد لدى الجبرتي من دخيل**، دار المعارف، القاهرة، 1972.
- فولني، فرنسوا، **سوريا ولبنان وفلسطين في القرن الثامن عشر**، ترجمة حبيب السيوفي، جزءان، صيدا، 1948 - 1972.
- نوار، عبد العزيز، **وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث**، بيروت، 1974.

## Published Works:

— Bowen, H., and Gibbe, H.A.R; **Islamic Society and the West**, vol., I in 2 parts, London, 1951-1957.

— Charles -Roux, François. **Les Echelles de Syrie et de Palastine au XVIII siècle**, Paris, 1927.

— Cohen, Amnon. **Palestine in the 18th century,** Jerusalem, 1973.
— Gibb, H.A.R, **See Bowen.**
— Lusignan (S.K), **History of the Revolt of Aly Bey,** London, 1783.
— Rafek, (A.K), **The Province of Damascus (1723-1783),** Beirut, 1966.
— Tresse, R, **Le pelerinage-syrien aux villes saintes de l'islam,** Paris, 1937.

## رابعاً ـ رسائل جامعية غير منشورة

- حنا، صادق فارس رشوان، شرح مفردات في نصوص القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، جامعة القديس يوسف، كلية الآداب، 1984.

## Thesis:

— Livingston, John William; Ali Bey Al-Kabir and the Mamluk resurgence in Ottoman Egypt (1760-1772), a dissertation presented to faculty of Princeton University, 1968.
— Shamir, Shimon; **The Azm Walis of Syria (1724-1785),** a dissertation presented to the faculty of Princeton University in condidacy for the degree of Doctor of Philosophy, 1960.

## خامساً ـ دوريات

- جابر، محمد (العاملي). (معركة كفرمان)، مجلة **العرفان** م 26 ص (359 - 362)، سنة 1936، (معركة الحولة) مجلة **العرفان** م 26 ص (357)، سنة 1936.
- رضا، أحمد/ معركة كفر رمان) مجلة **العرفان** م 20 ص 321، سنة 1930.

## periodicales:

— Auriant, L. (pseud); **(Catherine II et l'orient (1770-1774),** *Acropole* vol. 5 (Rélation inédité cheick Abbas Ahmet comandant de sour et allié de cheick Daher daté Beyrouth 15 Juillet 1772, Paris, 1930. voir pp. (188-220).
— Holt, (P.M). «the cloud clacher», **Aly-Bey the great of Egypt,** History today, London, (January, 1959) pp. (48-58).
— Hammer. **La vie (D'Ahmed Djezar Pacha)** *Fundgruben des orients*, vol., 16 pp. (289-291).
— Person, William. **(The Russian Occupation of Beirut),** *Royal Central Asian Journal,* July-Octobre, 1955.
سوف ترد هذه المجلة في بحثنا على الشكل التالي: (R.C.. A. J). pp.(276...).